دار ابن خزيمة

التوحيد ومعنى الشهادتين

الرياض - الملز - شارع الأحساء - غرب حديقة الحيوان
هاتف: ٤٧٦٩٩٣٢ - ٤٧٣٠٧٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وهو دين الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، ولا تصح الأعمال إلا به، إذ هو أصلها الذي تُبنى عليه، ومتى لم يوجد لم ينفع العمل، بل هو حابط إذ لاتصح العبادة إلا به.

أقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية.

(١) توحيد الربوبية:

وهو الإقرار بأن لا رب للعالمين إلا الله الذي خلقهم، ورزقهم وهذا النوع من التوحيد قد أقرّ به المشركون الأوائل، فهم يشهدون أن الله هو الخالق والمالك والمدبر والمحيي والمميت وحده لاشريك له، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت، آية: ٦١] ولكن إقرارهم هذا وشهادتهم تلك لم تدخلهم في الإسلام، ولم تنجهم من النار ولم تعصم دماءهم وأموالهم، لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية، بل أشركوا مع الله في عبادته بصرفهم شيئًا منها لغيره.

(٢) توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان بأن لله تعالى ذاتًا لا تشبهها الذوات وصفات لا تشبهها الصفات وأن أسماءه دالة دلالة قطعية على ما له ـ سبحانه ـ من صفات الكمال المطلق كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، آية: ١١].

وأيضًا إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ إثباتًا يليق بجلاله من غير تشبيه، ولا تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تأويل ولا تكييف، ولا نحاول لا بقلوبنا وتصوراتنا ولا بألسنتنا أن نكيف شيئًا من صفاته ولا أن نمثلها بصفات المخلوقين.

(٣) توحيد الألوهية:

وهو توحيد العبادة أي إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجميع أنواع العبادة التي أمر بها كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة

والرهبة والخشوع والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من العبادات التي أمر الله بها كلها، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن، آية: ١٨]، بحيث لا يصرف الإنسان شيئًا من هذه العبادات لغير الله - سبحانه وتعالى - لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لاتصح إلا لله، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد أشرك بالله شركًا أكبر وحبط عمله.

وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوىٰ الله، والإقبال بالقلب والعبادة علىٰ الله، ولا يكفي في التوحيد دعواه والنطق بكلمة الشهادة من غير مفارقة لدين المشركين وما هم عليه من دعاء غير الله من الأموات ونحوهم والإستشفاع بهم إلىٰ الله في كشف الضر وتحويله وطلب المدد والغوث منهم إلىٰ غير ذلك من الأعمال الشركية التي تنافي التوحيد تمامًا.

وتحقيق التوحيد: هو بمعرفته والاطلاع علىٰ حقيقته والقيام بها علمًا وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح أو القلب إلىٰ الله محبة وخوفًا، وإنابة وتوكلاً ودعاءً وإخلاصًا وإجلالاً وهيبةً وتعظيمًا وعبادةً، وبالجملة فلايكون في قلب العبد شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله من الشركيات والبدع والمعاصي كبيرها وصغيرها، ولا كراهة لما أمر الله به وذلك هو حقيقة التوحيد وحقيقة لا إله إلا الله.

معنى لا إله إلا الله

أي لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله وحده لا شريك له، لأن المعبودات الباطلة كثيرة لكن المعبود الحق هو الله وحده لاشريك له. قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج، آية: ٦٢] وليس معناها لا خالق إلا الله كما قد يظنه بعض الجهلة، فإن كفار قريش الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بأن الخالق المدبر هو الله تعالىٰ ولكنهم أنكروا أن تكون العبادة كلها لله وحده لاشريك له، كما في قوله تعالىٰ عنهم: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص، آية: ٥]، ففهموا من هذه الكلمة أنها تُبطل عبادة أي أحد من دون الله وتحصرّ العبادة لله وحده وهم لا يريدون ذلك، فلذلك حاربهم رسول الله ﷺ

حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقوموا بحقها وهو إفراد الله بالعبادة وحده لاشريك له.

وبهذا يبطل ما يعتقده عبّاد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بأن الله موجود أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك وأن من اعتقد ذلك فقد حقق التوحيد المطلق ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله ودعاء الأموات والتقرب إليهم بالنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم.

ولقد عرف كفار قريش من قبل أنَّ لا إله إلا الله تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم وهم يأنفون من التناقض، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع فهم يقولون لا إله إلا الله، ثم ينقضونها بدعاء الأموات من الأولياء والصالحين والتقرب إلى أضرحتهم بأنواع من العبادات، **فتبًا** لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

ولقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تبين أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد، وإفراد الله بالعبادة، فهذا هو الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، أما قول الإنسان لا إله إلا الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، أو دعواه أنه من أهل التوحيد وهو لايعرف التوحيد بل ربما يخلص لغير الله في عبادته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والاستغاثة والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادات فإن هذا مناقض للتوحيد بل يكون مشركًا والحالة هذه!!

قال ابن رجب:

« فإنّ تَحقُّق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصِدْقه فيها وإخلاصه يقتضي أن يرسخ فيه تأله الله وحده إجلالاً وهيبة ومخافة ومحبة ورجاءً وتعظيمًا وتوكلاً ويمتلئ بذلك وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك لم تبق فيه محبة ولا إرادة ولا طلب لغير ما يريد الله ويحبه ويطلبه، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفس وإراداتها ووسواس الشيطان، فمن أحب شيئًا أو أطاعه وأحب عليه وأبغض عليه فهو إلهه فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله ولا يوالي ولا يعادي إلا لله فالله إلهه حقًا، ومن أحب لهواه وأبغض

له ووالى عليه وعادىٰ عليه فإلهه هواه كما قال تعالىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان، آية: ٤٣]».

فضائل كلمة الاخلاص

لقد اجتمع لكلمة الإخلاص فضائل جمة، وثمرات عديدة، ولكن هذه الفضائل لا تنفع قائلها بمجرد النطق بها فقط، ولا تتحقق إلا لمن قالها مؤمنًا بها عاملاً بمقتضاها، ومن أعظم فضائلها أن الله حرم على النار من قالها يبتغي بذلك وجه الله. كما في حديث عتبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» متفق عليه. وغير ذلك من الأحاديث التي تبين أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله. لكن هذه الأحاديث جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها يخشىٰ عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها بسبب ذنوبٍ أصر عليها وتهاون بها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث «سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» رواه أحمد وأبو داود.

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحالة مصرًا على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء فلا يبقىٰ في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر الله به، وهذا هو الذي يحرم على النار وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص، وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبًا إلا ويمحىٰ كما يمحو الليل النهار.

أركانها

للشهادة ركنان: (١) نفي في قوله «لا إله».

(٢) إثبات في قوله: «إلا الله».

«فلا إله» نفت الألوهية عن كل ما سوىٰ الله، «وإلا الله» أثبتت الألوهية لله وحده لاشريك له.

شروط لا إله إلا الله

ذكر العلماء لكلمة الإخلاص شروطًا سبعة، لا تصح إلا إذا اجتمعت، واستكملها العبد، والتزمها بدون مناقضة لشيء منها،

وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها، فكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، وهذه الشروط هي:

(١) العلم:

والمراد به العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، وما تستلزمه من عمل، فإذا علم العبد أن الله -عز وجل- هو المعبود وحده، وأن عبادة غيره باطلة وعمل بمقتضى ذلك العلم فهو عالم بمعناها، وضد العلم الجهل، بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، بل يرى جواز عبادة غير الله مع الله، قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد ١٩]، وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف ٨٦] أي من شهد بلا إله إلا الله، وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم.

(٢) اليقين:

وهو أن ينطق بالشهادة عن يقين يطمئن قلبه إليه، دون تسرب شيء من الشكوك التي يبذرها شياطين الجن والإنس، بل يقولها موقنًا بمدلولها يقينًا جازمًا. فلابد لمن أتى بها أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى وبطلان إلهية من عداه، وأنه لا يجوز أن يُصرف لغيره شيء من أنواع التأله والتعبد، فإن شك في شهادته أو توقف في بطلان عبادة غير الله، كأن يقول: أجزم بألوهية الله ولكنني متردد ببطلان إلهية غيره، بطلت شهادته ولم تنفعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [الحجرات، آية: ١٥].

(٣) القبول:

والقبول يعني أن يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فيصدق الأخبار ويؤمن بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئًا ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد والتحريف الذي نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾

وضد القبول: الرد فإن هناك من يعلم معنى الشهادة ويوقن بمدلولها ولكنه يردها كبراً وحسداً، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام، آية: ٣٣] ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية أو الحدود

أو يكرهها، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ [البقرة، آية: ٢٠٨] .

(٤) الانقياد المنافي للشرك:

وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه كلمة الاخلاص، وهو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله، قال تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ [الزمر، آية: ٥٤] .

والانقياد أيضًا لما جاء به النبي ﷺ والرضى به والعمل به دون تعقب أو زيادة أو نقصان، وإذا علم أحد معنى لا إله إلا الله، وأيقن بها، وقبلها، ولكنه لم ينقد، ويذعن، ويستسلم ويعمل بمقتضى ما علم فإن ذلك لا ينفعه. ومن عدم الانقياد ترك التحاكم لشريعة الله ـ عز وجل ـ واستبدالها بالقوانين الوضعية.

(٥) الصدق:

وهو الصدق مع الله، وذلك بأن يكون صادقًا في إيمانه صادقًا في عقيدته، ومتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقًا لما جاء من كتاب ربه، وسنة نبيه ﷺ فالصدق أساس الأقوال، ومن الصدق أن يصدق في دعوته، وأن يبذل الجهد في طاعة الله، وحفظ حدوده، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة، آية: ١١٩]

وضد الصدق الكذب، فإن كان العبد كاذبًا في إيمانه لا يعد مؤمنًا بل هو منافق، وإن نطق بالشهادة بلسانه، فإن هذه الشهادة لا تنجيه.

ومما ينافي الصدق في الشهادة تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ أو تكذيب بعض ما جاء به لأن الله ـ سبحانه ـ أمرنا بطاعته وتصديقه، وقرن ذلك بطاعته ـ سبحانه وتعالى ـ.

(٦) الإخلاص:

وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي، أو الاندفاع للعمل لمحبة شخص أو مذهب أو حزب يستسلم له بغير هدى من الله، قال تعالى: ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ [الزمر، آية: ٣] وقال تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة، آية: ٥] .

وضد الإخلاص الشرك والرياء ابتغاء غير وجه الله، فإن فقد

العبد أصل الأخلاص فإن الشهادة لا تنفعه قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان، آية: ٢٣] فلا ينفعه حينئذ أي عمل يعمله لأنه فقد الأصل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء، آية: ٤٨].

(٧) المحبة:

أي المحبة لهذه الكلمة العظيمة ولما دلت عليه واقتضته فيحب الله ورسوله ﷺ، ويقدم محبتهما على كل محبة ويقوم بشروط المحبة ولوازمها، فيحب الله محبة مقرونة بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، ومن المحبة تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها، ومن المحبة أيضاً أن يكره ما يكرهه الله، فيكره الكفار ويبغضهم، ويعاديهم ويكره الكفر والفسوق والعصيان، وعلامة هذه المحبة الانقياد لشرع الله واتباع محمد ﷺ في كل شيء، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران، آية: ٣١] وضد المحبة الكراهية لهذه الكلمة ولما دلت عليه وما اقتضته أو محبة غير الله مع الله. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد، آية: ٩].

ومما ينافي المحبة بغض الرسول ﷺ وموالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله المؤمنين.

معنى شهادة أن محمد رسول الله

معناها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، فلابد للمسلم من تحقيق أركان تلك الشهادة، فلا يكون كامل الشهادة له بالرسالة من قالها بلسانه وترك أمره وارتكب نهيه وأطاع غيره، أو تعبّد الله بغير شريعته، قال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله» **رواه البخاري** وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه. ومن مقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا يعتقد أن لرسول الله ﷺ حقاً من الربوبية وتصريف الكون أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يُعبد ورسول لا يُكذب ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع والضر إلا ما شاء الله.

❁ ❁ ❁

مطابع دار الشاطر هاتف: ٢٦٥٩٩٥٦ الرياض